

## الوقف وبنية المكتبة العربية (استبطان للموروث الثقافي)

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إعداد:

د. يحيى محمود ساعاتي

رئيس مركز البحوث والتواصل المعرفي

المملكة العربية السعودية

### تعريف عام بالمؤلف:

الدكتور يحيى محمود الساعاتي؛ كاتب وباحث سعودي متخصص في المكتبات والمعلومات، ورئيس مركز البحوث والتواصل المعرفي، يلقب في الوسط الثقافي بـ«شيخ المكتبيين»، وعني بالمخطوطات الإسلامية، وله مؤلفات كثيرة منها ما يتناول التاريخ الإسلامي القديم والحديث، ومنها ما يتناول المكتبات والمخطوطات والبيبلوغرافيا. وقد حصل على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب بجامعة الملك سعود عام ١٣٨٩هـ. ثم ماجستير آداب في المكتبات والمعلومات من جامعة ميزوري بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م. ثم دكتوراه في المكتبات والوثائق من كلية الآداب بجامعة القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

### الهدف العام للمادة العلمية:

هدف الكتاب إلى بيان مدى أثر الكتب الموقوفة على ازدهار مجتمع العلم، وتوضيح نشأة ومسار المكتبة العربية التي اعتمدت على الأوقاف أو قامت عليه، دون تناول المكتبات الخاصة أو تلك التي لم يثبت ما يؤيد وقفها، كل ذلك معتمد على الشواهد التراثية المتوافرة مع الاستعانة بأعمال حديثة عند عدم توافر النص التراثي.

## الكلمات المفتاحية:

الوقف - المكتبة - الكتب - المخطوطات - العلم - التراث الثقافي.

## أهمية المادة العلمية:

يعد هذا الكتاب من أبرز المؤلفات الفكرية التي تحكي قصة الكتب والمكتبات الوقفية، وإسهام الوقف في بناء أركان الثقافة الإسلامية المتنوعة على امتداد العصور والديار الإسلامية، كما يظهر إسهام المجتمع الإسلامي في بناء دور المكتبات العامة والخاصة. ومن خلال قراءة الكتاب نقف على مجموعة كبيرة من الأعلام الذين أسهموا في المسيرة الحضارية للكتاب الإسلامي، كما نقف على عدد هائل من المكتبات المختلفة التي تعكس لنا عظمة التراث الإسلامي. كما يفيد الكتاب في تكوين صورة شبه متكاملة تعكس أثر الواقفين في ترسيخ القاعدة العلمية في البيئة العربية في القرون السالفة بما يحفز الباحثين على استكمال الصورة، وإبراز الأثر الرائع للوقف على الكتب والمكتبات.

## أبرز موضوعات المادة العلمية:

تناول الكتاب واقع الكتب والمكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية، واشتمل على مقدمة وتمهيد وستة فصول مع ذكر النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث. وقد تناول في الفصل الأول خطة الدراسة ومنهجها، وبين فيها الهدف من الدراسة ومدى أهميتها، مع ذكر المسلمات التي تنطلق منها، كما تناول الدراسات السابقة في هذا الشأن وما يتميز به البحث عنها. وتناول في الفصل الثاني بدايات وقف الكتب، وظهور المكتبات العامة، ودور الكتب المستقلة، وتحدث عن دار العلم في الموصل والبصرة وبغداد وغيرها من دور الكتب الموقوفة التي حظيت برعاية فائقة من قبل شخصيات وجدت فيها مجالاً للتعبير عن رغبتها في

إشاعة العلم وتيسير أمر تداول الكتب بين أيدي طلابها. وتناول في الفصل الثالث مكتبات الجوامع والمدارس، مع ذكر نماذج منها كالجامع الأزهر في القاهرة، وأكد على أهمية وجود مكتبة في كل مدرسة والحرص على وجود الكتب فيها من قبل كل فئات المجتمع. وتناول في الفصل الرابع وقف الكتب والمكتبات على المصحّات والربط والخانقاهات والمقابر والأشخاص والذرية والوقف غير المحدد مع ذكر نماذج لها، وألح إلى مدى انتشار هذا النمط من الوقف انتشاراً واسعاً بين أفراد المجتمع في العالم الإسلامي. وتناول في الفصل الخامس التنظيم والإدارة للمكتبات الموقوفة، وذكر طرق إثبات الوقف، ثم عرّج على أبنية المكتبات الوقفية، وتحدّث عن تنظيم الاستفادة من الكتب الوقفية وتحديد المستفيد، ومواعيد فتح المكتبات، والتنظيم المالي لها، وحثّ على حصر أوقاف المكتبات والاستفادة مما يمكن أن يتوصل إليه منها. وتناول في الفصل السادس مصائر الكتب والمكتبات الوقفية، وقسمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى: مرحلة الانقراض التي شهدت تدهور أوضاع المكتبات، مع ذكر الأسباب التي تولدت منها الإساءة والتدمير. والمرحلة الثانية: مرحلة لَمَّ الشتات وتعني لَمَّ ما بقي من مخطوطات وقفت على جوامع أو مدارس متناثرة، مع ذكر أمثلة على ذلك.

## أبرز التوصيات والنتائج:

يظهر الكتاب أن المكتبة المعدة لاستقبال الباحثين والطلاب والدارسين عُرِفَتْ عند العرب والمسلمين منذ بداية الأمر معتمدةً على الوقف. وأن المكتبة الوقفية تشكل بنية المكتبة العربية منذ القرن الرابع الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر، وأنها هي الإطار الحقيقي لقيام المكتبات وانتشارها عبر التاريخ العربي. وأن وقف الكتب عند العرب والمسلمين كان العامل الأساس والمهم في نشر الثقافة، وتوسيع دائرة المعرفة لدى الطلاب والدارسين على مدى قرون طويلة من خلال

المكتبات العامة والمدرسية ومكتبات الجوامع والربط والزوايا والمصحات. وأوصى الباحث بضرورة العودة إلى الوقف ليكون طريقاً نحو بناء حركة مكتبية زاهرة في العالم العربي كما كان عليه الأمر في الماضي. والاستفادة من تجربة الأسلاف التي تركزت على المواكبة بين الدرس المفتوحة، وتشبيد المكتبات لترشد ثقافة الطالب بما يمكنه من التوسع والاستزادة. والتأكيد على الأثر الحضاري الرائع للمكتبة العربية التي يمكن أن نعدّها القاعدة التي أدت إلى قيام تلك الحضارة العربية في المجال العلمي والإنساني، وهي ما نفاخر بها اليوم.

### تعليق ختامي على البحث:

يعد كتاب الوقف وبنية المكتبة العربية ذا أهميّة بالغة؛ فهو يحكي تاريخ الكتب والمكتبات الوقفية، ويبرز مدى إسهام الوقف في بناء أركان الثقافة الإسلامية المتنوعة على امتداد العصور، ومدى أثره الفعال على العلم والعلماء، كما يظهر إسهام المجتمع الإسلامي في بناء المكتبات الخاصة والعامة، والملحقة بالمدارس، والجامعات. وفي هذا الكتاب نقف على مجموعة كبيرة من الشخصيات العظيمة التي أسهمت في حفظ الكتب والمخطوطات، كما نقف على عدد كبير من المكتبات العلمية المتنوعة التي تعكس لنا عظمة الحضارة الإسلامية.